Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كان الجاحظ يجالسه، ويؤاكله، ويرافقه في سفره... فلما ألقي القبض على ابن الزيات في خلافة المتوكل، وآل الأمر إلى منافسه أحمد ابن أبي دؤاد خشي على نفسه ولاذ بالهرب، ولما سئل في ذلك قال: «لا أحب أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور»[1] يشير بذلك إلى التنور الذي كان قد أعده ابن الزيات لتعذيب أعدائه في أيام سطوته وعذب فيه في أيام محنته.

ولما سيق إلى ابن أبي دؤاد مكبلا، قال له: «والله ما علمتك إلا متناسياً للنعمة، كفوراً للصنيعة، معدداً للمساوىء، وما فُتِّئ باستصلاحي لك، ولكن الأيام لا تصلح منك، لفساد طويتك، ورداءة داخلتك، وسوء اختيارك، وتغالب طبعك» فقال الجاحظ: «خفض عليك ـ أيدك الله ـ فوالله لأن يكون لك الأمر عليَّ خير من أن يكون لي عليك، ولأن أسيء وتحسن أحسن في الأحدوثة عنك من أن أحسن فتسيء، ولأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل بك من الانتقام مني» فقال له ابن أبي دؤاد: «قبحك الله، ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام، وقد جعلت ثيابك أمام قلبك، ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر» وكأنه أراد تحقيق ما يعتقده الجاحظ في تفسير آيات القرآن. فتابع: ما تأويل هذه الآية: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة. إن أخذه لأليم شديد﴾[2] ؟... قال: تلاوتها تأويلها، أعز الله القاضي. فقال: «جيئوا بحداد» فقال: «أعز الله القاضي... ليفك عني أو ليزيدني؟» فقال: «بل ليفك عنك».

فجيء بالحداد، فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ، ويطيل أمره قليلاً، فلطمه الجاحظ وقال: «اعمل عمل شهر في يوم، وعمل يوم في ساعة، وعمل ساعة في لحظة، فإن الضر على ساقي، وليس بجذع ولا ساجة، فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه[3].

وقال ابن أبي دؤاد لمحمد بن منصور ـ وكان حاضراً ـ : «أنا أثق بظرفه، ولا أثق بدينه» ثم قال: «يا غلام. صرْ به إلى الحمام، وأمط عنه الأذى،

(١) معجم الأدباء جـ ١٦/ ٧٦.

(٢) سورة هود (١٠٤)

(٣) معجم الأدباء جـ ١٦/ ٨٠،